

الدرس الثامن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه وتستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . اللهم إنا نسألك علما نافعا وعملا صالحا ورزقا طيبا والتوفيق لما تحبه وترضاه . ونواصل قراءتنا في كتاب «أصول الإيمان» لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وغفر له وللشارح والسامعين :

باب قول الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ

وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض ؟)) رواه البخاري .

قال المصنف رحمه الله : ((باب قول الله تعالى ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧])) ؛ هذه الترجمة معقودة لبيان عظمة الله جل وعلا وجلاله

وكماله، وأنه عز وجل هو المستحق وحده أن يُفرد بالعبادة وأن يخص بالطاعة وأن لا يُجعل معه شريك في شيء منها ، لأنه تبارك وتعالى المتفرد بخلق السماوات خلقو الارض وخلق الناس وإيجاد هذه المخلوقات لا شريك له في شيء من ذلك ، فالواجب أن يُفرد تبارك وتعالى وحده بالعبادة، ومن لم يفرد جل وعلا بالعبادة فما قدره تبارك وتعالى حق قدره ؛ أي لم يعظمه حق تعظيمه .

قال عز وجل: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ أي لم يعظموه جل وعلا التعظيم اللائق به ، وهذا حال المشركين كلهم ؛ فمن اتخذ مع الله الشركاء ما عظم الله ولا قدره تبارك وتعالى حق قدره ولم يرجُ وقاراً لله عز وجل وعظمةً ، قال سبحانه: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ [نوح:١٣-١٤] ؛ فهذه كلها تبين سوء حال المشرك الذي اتخذ مع الله تبارك وتعالى الأنداد . ولهذا يأتي في القرآن في آيات كثيرة من ذكر عظمة الله وجلاله وكمال اقتداره سبحانه وقوته وتدبيره لهذا الكون ، وأنه تحت تدبيره جل وعلا وبقبضته وتحت تصرفه وطوع أمره إلى غير ذلك من المعاني المبينة لعظمة الله جل وعلا وأنه تبارك وتعالى وحده المستحق للعبادة .

هذه الآية الكريمة صُدِّرت ببيان أن من اتخذ مع الله تبارك وتعالى الأنداد لم يقدر ربه تبارك وتعالى حق قدره ، وحثمت بتنزيه الله تبارك وتعالى عن أفعال هؤلاء المشركين المنذرين المتخذين الشركاء مع الله تبارك وتعالى ، وذكر في أثناءها من الدلائل البينات والبراهين الواضحات التي تبين فساد الشرك وما بطلان ما عليه أهله .

قال: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر:٦٧] ؛ «الْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أي تكون في قبضة يده جل وعلا ، وهذا فيه إثبات اليد لله ، يداً تليق بجلاله وكماله موصوفة في القرآن وفي السنة بصفات اليد الحقيقية التي يُعرف معناها في لغة العرب ، ولهذا جاء في القرآن وفي السنة من أوصاف يد الرحمن تبارك وتعالى ما يدل على أنها يد حقيقية تليق بالله سبحانه وتعالى ، مثل القبض ، والطي ، والبسط ، والأخذ ((إلا أخذها الله بيمينه)) ، بل إن صفات اليد التي وردت في الكتاب والسنة يد الرحمن جل وعلا تقارب المئة صفة ، عددها ابن القيم رحمه الله في كتابه الصواعق المرسله تقارب المئة صفة كلها شاهدة على أنها يد حقيقية تليق بالله وبجلاله وكماله سبحانه وتعالى .

ومن أنكر ثبوت اليد صفةً له فهو جاحد معطل ، ومن شبهه يد الله تبارك وتعالى بأيدي المخلوقين فما قدر الله حق قدره ويكون بذلك كافر مشبه . وكيف يصح من عاقل أن يشبهه يد الله عز وجل وهي مضافة إليه عز وجل موصوفة بالكمال والجلال والعظمة! كيف يصح من عاقل أن يشبهه يد الله بيد المخلوقين والله يقول عن يده سبحانه: ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ ، أي عقل هذا الذي يقول "إن أثبتنا لله اليد حقيقة لزم من ذلك أن تكون يده كيد المخلوق" !! تعالى الله عما يقولون ، وسبحان الله عما يصفون وتنزه وتقدس عما يفترون سبحانه وتعالى . فهذه اليد أثبتها الرب جل وعلا لنفسه فالواجب الإيمان بها كما جاءت

وإمرارها كما وردت ، وكذلك الإيمان بكل صفاتها التي جاء ذكرها في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ كالبض والطبي والأخذ والبسط والأصابع وغير ذلك من صفات اليد التي ذكرت في كتاب الله العزيز وسنة النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

قال: ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ أي أنه تبارك وتعالى يطوي السماوات بيمينه ، والطبي هو جمع أطراف الشيء بعضها إلى بعض . فالسماوات مطويات بيمينه: أي يطويها تبارك وتعالى ويجمع أطرافها بعضها إلى بعض بيمينه سبحانه وتعالى .

﴿ سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ نزه نفسه في ختام هذا السياق العظيم عن الشرك واتخاذ الأنداد؛ أي تنزه وتقدس تبارك وتعالى عن شرك المشركين الذين سؤوا به تبارك وتعالى ترابا ، وسؤوا به تبارك وتعالى أحجارا ، وسؤوا به تبارك وتعالى من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا حياة ولا موتا ولا نشورا ، سبحانه وتعالى عما يشركون : أي تنزه وتقدس تبارك وتعالى عن أن يُشرك به غيره وأن يسؤى به غيره وأن يعدل به غيره وأن يجعل غيره عدلا له تنزه وتبارك وتعالى وتقدس عن ذلك .

ثم أورد المصنف رحمه الله حديث أبي هريرة في معنى هذه الآية الكريمة ؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض؟)) هذا أمر يفعله الله تبارك وتعالى يوم القيامة يقبض الأرض بيده ويطوي السماء بيمينه ، وعرفنا معنى الطبي ، ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض؟ وجاء في بعض الروايات ((يهزهن تبارك وتعالى ويقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟)) أين ملوك الأرض: أين من كانوا يملكون في الأرض يملكون مدن أو ديار أو مناطق أين هم ؟ وأين ما يملكون ؟ وأين ملكهم ؟ ، وهو تبارك وتعالى الملك في الدنيا والآخرة الذي بيده أزمة الأمور ومقاليد السماوات والأرض ، لكن هذه الحقيقة لا تنكشف جلية لجميع الناس وعموم الخلق إلا إذا وقفوا وقد تجردوا من أمور الدنيا كلها وليس معهم منها أي شيء ، ووقفوا بين يديه تبارك وتعالى ليس معهم من الدنيا شيء الملوك والرؤساء والصغار والكبار وأصحاب الأموال والفقراء كلهم يقفون على صعيد واحد ليس معهم من الدنيا شيء ، من كان يملك فيها ومن كان لا يملك ، من كان عنده شيء قليل ومن لا شيء عنده ومن عنده شيء كثير ، الكل يقف في صعيد واحد في أرض عفراء ، أرض جرداء ، أرض لا ظل فيها ولا سكنى ولا مأوى ، يقفون وقد تجردوا من أمور الدنيا كما قال عليه الصلاة والسلام في حديث آخر ((يحشر الله الناس يوم القيامة حفاة عراة بهمًا)) قالوا وما بهما يا رسول الله؟ قال : ((أي ليس معهم من الدنيا شيء)) أي: أي شيء كانوا يملكونه في الدنيا لا يكون معهم لا درهم ولا دينار ولا تجارة ولا مسكن ولا غير ذلك؛ فينجلي الأمر ويتجلى للجميع ويظهر من كان مغترا بملكه مغترا بسلطانه مغترا برئاسته مغترا

بتجارته كل هذه الأشياء تذهب ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ ﴾ [الحاقة: ٢٨-٢٩] كلها تذهب ولا يبقى منها شيء .

يقول الرب تبارك وتعالى : أين ملوك الأرض؟ أين ملكهم؟ أين ذلك الملك المدعى؟ أين تلك السلطة؟ أين ذاك الأمر والنهي؟ أين ذاك التعالي والتكبر الذي يوجد في كثير من الناس؟ أين ملوك الأرض؟ يقول أنا الملك في حديث آخر يقول : ((أنا الملك أنا الديان)) الديان: المجازي المحاسب ؛ فهو تبارك وتعالى يجازي العباد في ذلك اليوم ويحاسبهم على ما قَدَّموا في حياتهم الدنيا . يقول ((أنا الملك أين ملوك الأرض)) .

قال رحمه الله :

وله عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين وتكون السماوات بيمينه ثم يقول أنا الملك)) ، وفي رواية عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧] ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هكذا بيده يحركها ويقبل بها ويدبر ؛ يمجّد الرب نفسه أنا الجبار أنا المتكبر أنا العزيز أنا الكريم ، فرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر حتى قلنا ليخرن به . رواه أحمد .

ورواه مسلم عن عبيد الله بن مقسم أنه نظر إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كيف يحكي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((ياخذ الله سماواته وأرضيه بيديه فيقبضهما فيقول أنا الملك ويقبض أصابعه ويبسطها فيقول: أنا الملك)) حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى إني لأقول: أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم؟ .

ثم أورد المصنف رحمه الله الحديث من رواية أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين وتكون السماوات بيمينه)) أي أنه تبارك وتعالى يطويها بيمينه كما هو مبين في الرواية التي قبله في حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

تكون السماوات بيمينه ((ثم يقول أنا الملك)) وقوله عز وجل «أنا الملك» : أي الذي له الملك كله ؛مُلك الدنيا ومُلك الآخرة ومُلك الخلائق الذي بيده أزمة الأمور . واسمه تبارك وتعالى «الملك» يدل على ثبوت صفة الملك لله جل وعلا ، والملك الذي هو صفة الله تبارك وتعالى يتناول أمورًا كلها يشملها كونه تبارك وتعالى الملك ، منها : اتصافه جل وعلا بصفات الجمال والجلال والعظمة والعزة والقدرة والقوة إلى غير ذلك من الصفات التي هي

صفات الملك جل وعلا ، فاسمه تبارك وتعالى «الملك» يدل على صفات الملك التي هي صفات الجلال والكمال والعظمة، صفات القوة والقدرة والتدبير والتصرف .

أيضا يشمل اسمه تبارك وتعالى «الملك» ويدل على أنه له الحكم ؛ له الحكم الشرعي ، فهو الذي يأمر وينهى ويشرع ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ﴾ [النورى: ٢١] ، وله الحكم القدرى فهو الذي له الأمر تبارك وتعالى كله ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ، لا رافع لما خفض ولا خافض لما رفع ، لا قابض لما بسط ولا باسط لما قبض ، الأمر بيده تبارك وتعالى لأنه هو الملك وهو الذي يتصرف في مملكته تبارك وتعالى كيف شاء ويحكم فيها تبارك وتعالى بعلمه وحكمته ويدبر كما أراد ، ولا يمكن أن يكون في ملكه تبارك وتعالى ولا ذرة إلا بمشيئته جل وعلا ، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا به سبحانه وتعالى . وأيضا يشمل الحكم الجزائي ؛ وهو المجازة والمحاسبة وإثابة المطيع ومعاقبة العاصي ، كل ذلك من ملكه ، من ملكه تبارك وتعالى وتدييره ما ينزله من الكتب ويرسله من الرسل ويهدي إليه من الشرائع ويرضاه تبارك وتعالى من الدين كل ذلك من معاني الملك .

وقوله سبحانه وتعالى يوم القيامة ((أنا الملك أين ملوك الأرض)) هذه الحقيقة كما قدمت لا تبرز جليلة واضحة لكل الناس وعموم الخلق بكافة أصنافهم وجميع فئتهم إلا إذا وقفوا متجردين من الدنيا ليس معهم منها شيء ، اضمحلت الأمور وانقضت الحقيقة وتجلي الأمر فيقول تبارك وتعالى: ((أنا الملك أين ملوك الأرض)) أين ذاك الملك الذي يُزعم والسلطان الذي يدعى والتعالي الذي يوجد؟ كلها تذهب وتضمحل ولا يبقى منها شيء والملك بيد الله تبارك وتعالى الواحد القهار ، كل ملك يفنى وكل ملك يزول ويبيد والله تبارك وتعالى المالك الذي بيده الملك جل وعلا ؛ مُلك الدنيا وملك الآخرة ، مُلك السماوات وملك الأرض وملك الخلائق ، الذي يحكم في خلقه وفي ملكه تبارك وتعالى كيف شاء وكما يريد سبحانه وتعالى .

قال : ((وفي رواية عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر)) وهذا فيه فائدة أن مما ينبغي أن يوعظ الناس به على المنبر ومما ينبغي أن يسمعون في الخطابة الجامعة التي تعالج مشكلات الناس وتفتح لهم أبوابا في الهداية والصلاح وحسن الإقبال على الله تبارك وتعالى غرس الاعتقاد الصحيح وبيانه للناس وإيضاحه ، كما كان نبينا عليه الصلاة والسلام يصنع في خطبته ؛ غرس الاعتقاد الصحيح وأن يُزرع في قلوب الناس تعظيم الله جل وعلا وقدره عز وجل حق قدره وتعظيمه حق تعظيمه ، وأن يعرف الناس كمال قدرته وكمال قوته وكمال تدييره جل وعلا ، فهذه المعاني العظيمة يفتقر الناس إلى بيانها وإيضاحها وتبيينها ولا سيما في الخطب الجامعة التي يوعظ فيها الناس ويذكرون بالله تبارك وتعالى ويذكرون بعظمته وجلاله وكمال اقتداره سبحانه وتعالى .

قال : ((قرأ هذه الآية يوماً على المنبر)) فهذا كما قدمت يدل على مشروعية هذا العمل والحاجة إليه أن تُقرأ هذه الآيات وأمثالها من آيات التوحيد والآيات التي تبين عظمة الله جل وعلا ؛ تُبين للناس وتقرأ على المنبر وتشرح معانيها وتوضح دلالاتها حتى تقوى صلة الناس بالله وإيمانهم به .

قرأ قول الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧] ؛ قرأ هذه الآية صلوات الله وسلامه عليه وهو واقف على المنبر يخاطب الناس صلى الله عليه وسلم ، قال ابن عمر : ((ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هكذا بيده يحركها ويقبل بها ويدبر)) لما

قرأ عليه الصلاة والسلام قول الله تبارك وتعالى ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ قبض النبي صلى الله عليه وسلم بيده وأخذ يهزها عليه الصلاة والسلام يحركها إلى الأمام وإلى الخلف يقبل بها ويدبر ، يحركها عليه الصلاة والسلام وهو على المنبر إلى الأمام وإلى الخلف يقبل بها ويدبر ، حتى إن الصحابة رضي الله عنهم لما رأوا المنبر يهتز قالوا : ليخرن به ؛ يعني خشوا ان يخر المنبر يعني أن يسقط من الاهتزاز ، وهذا يدل على حماسة النبي عليه الصلاة والسلام ونصحه صلوات الله وسلامه عليه ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨] فهذا من نصحه عليه الصلاة والسلام .

وقبضه صلى الله عليه وسلم بيده وهزها هذا كما بين أهل العلم المراد به: تحقيق الوصف ، وأن الله سبحانه وتعالى يوم القيامة يقبض الأرضين بيده حقيقة ويطوي السماوات بيمينه حقة ويهزهن تبارك وتعالى بيده حقيقة ، فالنبي عليه الصلاة والسلام قبض بيد نفسه لأجل تحقيق الوصف وبيان أن هذا أمرٌ يكون يوم القيامة حقيقة يفعل رب العالمين جل وعلا ، ليس هنا تشبيه للقبض بالقبض ولا تشبيه لليد باليد ولا تشبيه للفعل بالفعل ، حاشا أن يكون ذلك ، وإنما المراد تحقيق الوصف . نظير هذا ما تقدم عندما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم قول الله تعالى :

﴿ إِنِ اللَّهُ نَعِمًا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥٨] فوضع عليه الصلاة والسلام اصبعه الإبهام على أذنه والسبابة على عينه، قال العلماء: المراد بذلك تحقيق الوصف أنه تبارك وتعالى سميع حقيقةً بصير حقيقةً ، سميعٌ بسمع بصيرٌ ببصر يليقان بجلاله وكماله وعظمته سبحانه وتعالى .

فهذه الإشارة التي كانت منه عليه الصلاة والسلام بيده المراد بها تحقيق الوصف وتأکید الأمر وأنه يكون الأمر يوم القيامة بأنه سبحانه وتعالى يقبض الأرضين ويطوي السماوات ويهزهن تبارك وتعالى ويقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟

قال: ((يحركها ويقبل بها ويدبر، يمجده الرب نفسه)) أي أنه سبحانه وتعالى لما يقبض الأرضين بيده ويطوي السماوات بيمينه ويهزهن يمجده نفسه ، والتمجيد: هو السعة في الثناء ، ومن أسمائه تبارك وتعالى «المجيد» وهو

دال على ثبوت المجد صفة له تبارك وتعالى ، والمجد معناه في اللغة: السعة ، وتمجيد الرب نفسه تبارك وتعالى: أي أنه عز وجل يكثر من ذكر الثناء على نفسه جل وعلا بذكر أسمائه العظيمة وصفاته العليا الكريمة سبحانه وتعالى يذكر ذلك بمجد نفسه . فالتمجيد: هو السعة ومما يوضح لكم هذا المعنى ما ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن الله سبحانه وتعالى قال: ((قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» قَالَ اللَّهُ تَعَالَى حَمْدِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ «الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ» قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَتْنِي عَلَى عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ «مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ» قَالَ: مَجْدِي عَبْدِي)) التمجيد: هو السعة في الثناء ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ ﴿ هذا تمجيد لله تبارك وتعالى وتوسعة في الثناء على الله عز وجل في تعداد صفاته وأسمائه.

فقال هنا: ((بمجد الرب نفسه)) أي يذكر من أسمائه وصفاته ما بمجد به نفسه أي يثني على نفسه بما جل وعلا، فذكر من الأسماء التي يذكرها تبارك وتعالى ممجداً بها نفسه : ((أنا الجبار أنا المتكبر أنا العزيز أنا الكريم)) يذكر هذه الأسماء سبحانه وتعالى ممجداً بها نفسه .

((أنا الجبار)) والجبار: اسم من أسماء الله تبارك وتعالى ، والمعنى الذي يدل عليه هو الجبر وهو يتناول أموراً منها : جبر القلوب المنكسرة بإصلاحها وتركيتها ، وكذلك من معاني الجبار: انتقامه تبارك وتعالى من العتاة وقصمه لظهور الجبارة والمعتدين ، فالجبار يعطي معنى البطش والقوة والانتقام ويعطي أيضاً معنى إصلاح قلوب أهل الإيمان وجبر قلوبهم وتركيتهم وإصلاح أحوالهم ، فهذه كلها من المعاني التي يدل عليها هذا الاسم العظيم ((أنا الجبار)).

((أنا المتكبر)) والمتكبر: اسم يدل على صفة الكبرياء لله تبارك وتعالى ، والكبرياء صفة مختصة به ، ومن نازع الله عز وجل في كبريائه قذفه الله عز وجل يوم القيامة في النار كما جاء في الحديث الذي في صحيح ((الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَارَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ)) ، فالله عز وجل هو المتكبر أي الذي له الكبرياء . ومن الذكر الذي كان يقوله عليه الصلاة والسلام في ركوعه وسجوده «سُبْحَانَ ذِي الْجَبْرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعِظْمَةِ» ، قوله والكبرياء أي ذي الكبرياء ، والعظمة أي وذو العظمة ، فالله عز وجل مختص بذلك جل وعلا ؛ فهو العظيم الذي له العظمة ، وهو المتكبر الذي له الكبرياء .

ومن كان يتكبر في هذه الحياة الدنيا ويتعالى على الناس ويتعاضم ويرتفع على عباد الله سينجلي له الحق وتبين له الحقيقة عندما يقف على صعيد وعرصات يوم القيامة ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [١١١:٥] ، عندما يقف ذاك الموقف العظيم يذكر أن كبريائه سرابٌ وأن كبريائه ضياع عندما يقف بين يدي الله تبارك وتعالى يوم القيامة ، والكبرياء لله ، ومن يتكبر في هذه الحياة على الناس ويتعالى على خلق الله تبارك وتعالى هو في الحقيقة ما عرف

نفسه، وإلا لو تأملا في حقيقة نفسه وتدبر أمره لذهب من قلبه الكبرياء ، الإنسان ما هو حتى يتكبر؟ الإنسان مخلوق أوله نظفة وآخره جيفة يلقى أو يدفن في حفرة وتأكّل لحمه الديدان وتأكله الأرض ، وهو بين ذلك يحمل في بطنه العذرة على أي شيء يتكبر؟! ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧] على ماذا يتكبر الإنسان؟ من يتكبر ما عرف حقيقة نفسه ، لكن يوم القيامة يُحشر المتكبرون في غاية الذل وهم في غاية الصغار والضعفة ويعرفون حقيقة تكبرهم ، فيقول الله سبحانه وتعالى : ((أنا الجبار أنا المتكبر)) ، وكما قدمت هذه معاني تظهر للناس كلهم ؛ في الدنيا يوجد من يتجبرون ومن يتكبرون ومن يتعاضمون ومن أيضا يغتر بتكبرهم وتعاضمهم وتكبرهم ويظنهم على شيء ، لكن هذه كلها تنقش وتنجلي وتتضح لعموم الخلائق يوم القيامة . يقول جل وعلا ((أنا الجبار أنا المتكبر أنا العزيز)) والعزيز: هو القاهر الذي لا يغلب الذي بيده أزمة الأمور تبارك وتعالى قال أنا العزيز .

((أنا الكريم)) يذكر تبارك وتعالى كرمه جل وعلا وجوده وسخاءه ومنه وأفضاله جل وعلا ، وكرمه سبحانه الذي يثني على نفسه به في ذلك اليوم العظيم ليس لكافرٍ فيه مطمع ولا حظّ له فيه ولا منال ، فالرب العظيم واسع الكرم واسع الجود واسع المن واسع العطاء عظيم الصفح جل وعز ، ليس لكافر في كرمه سبحانه وتعالى ورحمته ومغفرته مطمع ، وهذا أمرٌ قُطع به في كتاب الله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] . قال ((يقول أنا الكريم)).

يقول ابن عمر : ((فيرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر)) يرجف المنبر برسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه كان يهز يده يقبل بها ويدبر ؛ فيهتز جسمه لاهتزاز يده مقبلة مدبرة ، ويهتز المنبر تبعاً لاهتزاز جسم الرسول عليه الصلاة والسلام عليه ، حتى إن الصحابة لما رأوا اهتزاز المنبر من تحته عليه الصلاة والسلام قال : ((حتى قلنا ليخرن به)) ليخرن أي يسقط المنبر برسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وهذا كما قدمت مما يبين لنا كمال نصح النبي عليه الصلاة والسلام ، كمال نصحه في خطابته للناس وبيانه لهم ، وقد وصفه بعض أصحابه أنه عليه الصلاة والسلام «إذا خطب الناس احمر وجهه وعلا صوته كأنه منذر جيش يقول صباحكم ومساكم» ، منذر الجيش معروفة صفته عندما يداهم الجيش بلدًا من البلدان فيأتي واحد من أهل هذا البلد يخبر أهل البلد بالجيش الذي داهمهم كيف تكون صفته ؟ قال: كأنه منذر جيش أي كأنه منذر قومه من جيش وصلهم وداهم بلدهم ، كأنه منذر جيش يقول صباحكم ومساكم ؛ جاءكم الجيش يعني في هذا الصباح وصلكم أو في هذا المساء ، كأنه منذر جيش . فكان عليه الصلاة والسلام معلّمًا أمينًا وناصحًا مشفقًا صلوات الله وسلامه عليه ، وما ترك إلا دل الأمة عليه ولا شرا إلا حذرهما منها .

وهنا يا إخوان يعجب المسلم غاية العجب عندما يتأمل في نصح النبي العظيم هذا في بيانه للدين وبيانه للاعتقاد وبيانه لأصول الإيمان بهذه القوة وبهذا النصح الكامل منه صلوات الله وسلامه عليه ثم يجد أقوامًا وهم كثيرون يدعون الانتساب إليه ولا يأخذون الاعتقاد عنه!! وإنما يأخذون الاعتقاد عن عقولهم هم ، وينون اعتقادهم على عقولهم ، حتى أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم بما فيها هذا الحديث الذي فيه نصحه عليه الصلاة والسلام لا يأخذون منه عقيدة بل يتشاغلون بتأويل هذا الحديث وردّه ورد غيره من نصوص الصفات ، سواء منها ما جاء في كتاب الله أو ما جاء في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فترى هؤلاء يقفون عند مثل هذه النصوص ويقول قائلهم : اليد ما تليق بالله ، ولو أثبتنا اليد للزم كذا ولزم كذا .. ويدخل في تحرصات عقلية وخوض باطل وقول على الله تبارك وتعالى بلا علم وجحد وإنكار لما وصف الله تبارك وتعالى به نفسه وما وصفه به رسوله عليه الصلاة والسلام ويتألى على الله جل وعلا ويقول عليه لا علم في أسمائه وصفاته ، وهذه من أنكر المنكرات وأعظم المحرمات؛ القول على الله تبارك وتعالى بلا علم ﴿ اَلَمْ اَعْلَمُ اَمَّ اللّٰهُ ﴾ [البقرة: ١٧٤] ، هل هم أعلم بالله من رسوله عليه الصلاة والسلام !! يقف صلى الله عليه وسلم ناصحاً للأمة خطيباً على المنبر يقرأ هذه الآية الكريمة ويقبض عليه الصلاة والسلام بيده ويهزها أمام الناس مؤكداً هذا الأمر مؤكداً وقوعه وأنها حقيقة ستكون يوم القيامة ثم يأتي أقوامٌ ينتسبون إليه عليه الصلاة والسلام ويحذون ذلك وينفون!! وينفون ثبوت اليد صفة لله جل وعلا ويقولون : لو أثبتناها للزم كذا وللزم كذا من أمور عقلية واستنتاجات عقلية نتيجتها جحد صفة الله سبحانه وتعالى .

وقد نبهت فيما سبق أن من أرخى لعقله الزمام وأطلق له العنان يخوض في هذا الباب متحرصاً متكلفاً قائلًا بلا علم يأتي بالأباطيل وأنواع الأضاليل ، ولعلنا نذكر جميعاً حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي مر معنا قريباً قال عليه الصلاة والسلام : ((إن رجلاً قال إن ل الله لا يغفر لفلان، فقال الله عز وجل من هذا الذي يتألى عليّ غفرت له وأحببت عملك)) ؛ قال إن الله لا يغفر لفلان ، قوله "إن الله لا يغفر لفلان" هذا الرجل أرخى لعقله العنان وأخذ يستنتج وأخذ يسبر حال ذلك الرجل وجد عنده معاصي كثيرة وجد عنده تفريط وتقصير عظيم وأخذ يستنتج وتوصل عقله إلى هذه النتيجة الله لا يغفر لفلان ، لم يجحد أن الله غفور ولكنه حجّر المغفرة حجراً واسعاً وأقحم عقله في مشيئة الله وفي علمه وحكمته ، من أنت حتى تقول الله لا يغفر لهذا أو لا يرحم هذا أو يرحم ذلك؟! هذا أمر بيده ويرجع إلى حكمته ومشيئته سبحانه وتعالى . فالقول على الله سبحانه وتعالى بلا علم من أعظم الجرائم وأخطرها ؛ ولهذا الجادة السليمة والطريق القويم في هذا الباب : أن يثبت المسلم لله تبارك وتعالى صفاته كما أثبتها الله لنفسه وكما أثبتها له رسوله عليه الصلاة والسلام .

ثم أورد المصنف رحمه الله رواية أخرى لهذا الحديث عن ابن عمر قال : ((روى مسلم عن عبيد الله بن مقسم أنه نظر إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كيف يحكي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يأخذ الله سماواته وأرضيه بيديه فيقبضهما)) وقوله «بيديه» فيه إثبات اليدين لله سبحانه وتعالى ، وثبوتهما جاء في القرآن

الكريم في مواضع منها : قوله سبحانه وتعالى ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [المائدة: ٦٤] ، وقوله جل وعلا ﴿ مَا مَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْكَ ﴾ [ص: ٧٥] ، فالله سبحانه وتعالى له يدان حقيقتان تليق بجلاله وكماله وعظمته سبحانه وتعالى .

قال : ((يأخذ الله سماواته وأراضيه بيديه فيقبضهما)) ذكر في الحديث هنا صفتان لليد الأخذ والقبض ومر معنا الطي ؛ فهذه كلها صفات ليد الله ، وذكرت لكم أن ابن القيم رحمه الله أوصلها إلى قرب المئة صفة في كتابه الصواعق، كلها صفات تؤكد ثبوت اليد حقيقةً لله جل وعلا كما يليق بجلاله وكماله وعظمته .

وهنا خدوا فائدة مهمة في هذا الباب قبل المواصلة وهي: أن العلماء رحمهم الله يقولون «الإضافة تقتضي التخصيص»، معنى ذلك أن ما يضاف إلى الله سبحانه وتعالى من الصفات ومنها اليد كما هنا في هذا الحديث ، ما يضاف إلى الله سبحانه وتعالى من الصفات تخصه وتليق به ، وما يضاف إلى المخلوق من الصفات تخص المخلوق وتليق به ، فاليد إذا أضيفت إلى من ليس كمثلها شيء ماذا يكون شأن هذه اليد؟ -انتبهوا يا إخوان - يكون شأنها ليس كمثلها يد أضيفت إلى من ليس كمثلها شيء ، وعندما تضاف اليد إلى المخلوق الناقص أي شيء يكون شأنها؟ تكون بحسب من أضيفت إليه ؛ فيد المخلوق تليق بالمخلوق ويد الخالق تليق به ، فاليد المضافة إلى الله شأنها كما قال الله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته منفرد

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١] فهو جل وعلا أحد لا سمي له ولا مثيل ولا ند ولا نظير تنزهه وتقدس عن ذلك ، فاليد عندما تضاف إلى الله جل وعلا فهي يد تخص الرب سبحانه وتعالى وتليق بجلاله وكماله ، فلا تُجحد اليد ولا أيضا تشبّه بأيدي المخلوقين كل ذلك ضلالٌ وباطل ، والحق قوام بين تعطيل المعطل وتمثيل الممثل ، الحق إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل ، على حد قول الله تبارك وتعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] .

قال : ((يقبضهما فيقول أنا الملك ، ويقبض أصابعه ويبسطها)) أي أنه عليه الصلاة والسلام كان على المنبر يقبض أصابعه ويبسطها ، وهذا كما قدمنا المراد به تحقيق الوصف وأنه ثابت حقا ، وأن هذا الأمر يكون يوم القيامة كما أخبر الله عن ذلك في كتابه العزيز وكما أخبر عن ذلك رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .

((يقبض أصابعه ويبسطها فيقول أنا الملك)) وهذا فيه إشارة إلى أن الله سبحانه وتعالى يكون منه ذلك ؛ يقبض السماوات ويقبض أصابعه تبارك وتعالى ويبسطها ، وهذا فيه ثبوت الأصابع ، والأصابع ثابتة في السنة لله جل وعلا على الوجه اللائق بجلاله ، والحديث في الصحيحين وغيرهما ((أن حبراً من أحبار اليهود جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام وقال : إن الله يوم القيامة يضع السماوات على اصبع ، والثرى على إصبع ، والشجر على اصبع ،

فلما ذكر ذلك ذاك الخبر ضحك النبي عليه الصلاة والسلام حتى بدت نواجذه ثم تلا هذه الآية ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧] لماذا ضحك عليه الصلاة والسلام؟ قال ابن مسعود راوي الحديث: «ضحك تصديقاً لقوله»، فهذا الضحك في هذا المقام المراد به تصديق قوله، أي يمكن أن يكون ضحك النبي عليه الصلاة والسلام منكرًا لقوله؟ من يقول ذلك ما قدر الرسول عليه الصلاة والسلام قدره، إذ كيف يقال في حقه صلى الله عليه وسلم أنه في مجلسه وعنده يقال في حق الله ما لا يليق به فيضحك حتى تبدو نواجذه!! كان عليه الصلاة والسلام إذا انتهكت حرمت الله لا يقوم لغضبه شيء، حتى إن عائشة رضي الله عنها ذكرت أنه ما غضب لنفسه قط عليه الصلاة والسلام، فإذا انتهكت حرمت الله لا يقوم لغضبه شيء يشتد غضبه عليه الصلاة والسلام، فكيف يقال فيمن هذه صفته أنه يقال أمامه وفي مجلسه وبين يديه في حق الله ما لا يليق به ولا يزيد إلا أن يضحك حتى تبدو نواجذه، فهو عليه الصلاة والسلام ضحك لما سمع هذا الخبر يقول ذلك تصديقاً لقوله عليه الصلاة والسلام.

الأصابع ثابتة في هذا وفي غيره من الأحاديث منها قوله عليه الصلاة والسلام: ((إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ))، وجادة أهل السنة رحمهم الله وألحقنا بهم جادة مباركة، جادة آمنة، جادة سالمة ما فيها عثار وليس فيها منزلقات وليس فيها ورطات، جادة مستقيمة تثبت لله ما أثبتته الله لنفسه، وتثبت له ما اثبت له رسوله عليه الصلاة والسلام على الوجه اللائق بجلال الرب تبارك وتعالى وكماله.

قال: ((فيقول أنا الملك حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه)) أي من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحرك من تحت قدميه صلوات الله وسلامه عليه.

((حتى إني لأقول - أي ابن عمر - أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم)) أي خشي أن يسقط المنبر من تحرك النبي صلوات الله وسلامه عليه على المنبر. وكما قدمت كل ذلك من كمال النصيح الكريم عليه الصلاة والسلام. وأعيد ما ذكرته من تعجب من حال أقوام نصح نبيهم عليه الصلاة والسلام لأمتهم غاية النصيح فهجروا نصحه وأعرضوا عن بيانه وأقحموا عقولهم القاصرة قائلين على الله تبارك وتعالى بلا علم.

قال رحمه الله :

وفي الصحيحين عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إقبلوا البشرى يا بني تميم)) قالوا قد بشرتنا فأعطنا قال : ((إقبلوا البشرى يا أهل اليمن)) قالوا : قد قبلنا فأخبرنا عن أول هذا الأمر ؟ قال : ((كان الله قبل كل شيء وكان عرشه على الماء ، وكتب في اللوح المحفوظ ذكراً

كل شيء)) قال : فأتاني آتٍ فقال : يا عمران انحلت ناقتك من عقاها ، قال : فخرجت في إثرها فلا أدري ما كان بعدي .

ثم أورد المصنف رحمه الله هذا الحديث حديث عمران بن حصين رضي الله عنه أبو نجيح ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((اقبلوا البشرى يا بني تميم)) وهذا كان عام الوفود في أواخر عهده عليه الصلاة والسلام كانت تأتيه الوفود من الأنحاء يفدون عليه -عليه الصلاة والسلام- ويعلمهم عليه الصلاة والسلام ويفقههم في دين الله ويبين لهم ما أمره الله تبارك وتعالى ببيانه ، فجاءه هذا الوفد من بني تميم فقال ((اقبلوا البشرى)) ، والبشرى هنا أطلقت والمراد: البشرى بسعادة الدنيا والآخرة بقبول هذا الدين الذي جاء به عليه الصلاة والسلام والإقبال عليه ، وأن من أقبل على هذا الدين وحفظه وحافظ عليه والتزم به وثبت عليه إلى الممات يفوز بسعادة الدنيا والآخرة ، يفوز بالبشارة المطلقة التامة الكاملة ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤] لهم أكمل البشارة ، لهم البشارة المطلقة ولهم البشارة المقيدة ؛ البشارة المطلقة بكل خير ، والبشارة المقيدة ما جاء منها مقيدة إما بالجنة أو برضا الله أو نحو ذلك مما جاء ذكره في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام .

((اقبلوا البشرى يا بني تميم)) وهو عليه الصلاة والسلام بعث بشيرا ونذيرا ؛ يبشر بالخير وبسعادة الدنيا لمن التزم وتمسك بذلك ، وينذر من الشر ومن النار وسخط الله تبارك وتعالى الذي يناله من أعرض ومن كفر بالله عز وجل قال ((اقبلوا البشرى يا بني تميم)) .

((قالوا قد بشرتنا فأعطنا)) كأنهم أرادوا عطاء منه عليه الصلاة والسلام مما آتاه الله عز وجل من أمور الدنيا ومتاعها

ثم جاء وفد آخر من أهل اليمن قال لهم عليه الصلاة والسلام : ((اقبلوا البشرى يا أهل اليمن)) قالوا : «قد قبلنا فأخبرنا عن أول هذا الأمر؟» أول هذا الأمر الإشارة هنا إلى هذا الأمر أي الأمر المشاهد هذا الكون المشاهد السماوات والأرضون والجبال وهذه المخلوقات ما هو أولها؟ أخبرنا عن أول هذا الأمر ما هو أوله؟ والإشارة هنا إلى هذا الكون المشاهد وهذه المخلوقات المعاينة المشاهدة السماوات والأرض والجبال ، أخبرنا عن أول هذا الأمر؟

قال : ((كان الله قبل كل شيء)) مثل هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم في كل مرة إذا أراد أن ينام إذا أوى إلى فراشه ((اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ)) كان الله ولم يكن شيء قبله .

((وكان عرشه على الماء)) والعرش مخلوق من مخلوقات الله لوجوده أولية ولوجوده بداية ، لم يكن موجودًا فخلقه الله، وكل مخلوق من مخلوقات الله مسبق بعدم ، والله سبحانه وتعالى أول ليس قبله شيء ، وكل مخلوق لوجوده بداية وهو مسبق بعدم وكان بعد أن لم يكن ، والله سبحانه وتعالى كان ولم يكن شيء قبله . قال ((وكان عرشه

على الماء)) وهذا فيه إثبات العرش وخلق الله تبارك وتعالى للعرش ؛ خلقه سبحانه وتعالى وأوجده بعد أن لم يكن ، والعرش هو أعلى المخلوقات وسقفها . قال ((وكان عرشه على الماء)).

((وَكُتِبَ فِي اللّوْحِ الْمَحْفُوظِ ذِكْرُ كُلِّ شَيْءٍ)) فبين هنا عليه الصلاة والسلام أن أول المخلوقات فيما يتعلق بهذا العالم القلم ، ولهذا جاء في بعض الروايات ((إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ. قَالَ رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ قَالَ أَكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ)) ، وليس في هذا دلالة على أن القلم خلق قبل العرش ، العرش مخلوق قبل القلم لكن الأولية هنا تتعلق بما سئل عنه الرسول صلى الله عليه وسلم وهو هذا العالم ؛ السماوات والأرض والجبال.

قال: ((وَكُتِبَ فِي اللّوْحِ الْمَحْفُوظِ ذِكْرُ كُلِّ شَيْءٍ)) وجاء في بعض الروايات ((كتب فيه ما هو كائن إلى يوم القيامة)) كتب ما هو كائن بتفصيل تام كامل ، ومن فقه الصحابة لهذا العموم والشمول في الكتابة يقول ابن عباس رضي الله عنه: «كل شيء بقدر حتى وضعك كفك على ذقنك هكذا بقدر»، كل شيء بقدر أي حركة يتحركها الإنسان وأي سكون وأي قيام وقعود كل ذلك بقدر كُتِبَ في اللوح المحفوظ .

هذا يبين لنا عظمة الخالق سبحانه وتعالى وكمال علمه جل وعلا ، كل ما هو كائن بالتفاصيل الدقيقة بالجزئيات الدقيقة بالأمر اليسيرة كلها كُتِبَتْ تفصيلاً بدقة لا يفوت شيء في اللوح المحفوظ ، متى؟ حتى هذا الاجتماع الذي من الله عز وجل علينا به ونسأل الله ان يتقبله بقبول حسن ، سخره ويسره فنسأل الله أن يتقبله ، كُتِبَ في اللوح المحفوظ متى؟ قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، هذه التفاصيل كلها بدقة وما يكون من الناس من حركات ؛ حركة يسيرة أو قليلة خائفة الأعين ما تحف الصدور الأعمال التي في القلوب كل التفاصيل كُتِبَتْ بدقة لم يترك منها جزء يسير لم يترك منها ذرة واحدة ، هذا يدل على ماذا؟ كمال علم الله عز وجل ، علم ذلك في الأزل وأحاط علمه وكتب ذلك في اللوح المحفوظ ، خلق سبحانه وتعالى القلم ، والقلم مخلوق لله أوجده بعد أن لم يكن وقال له اكتب ، وقال القلم لله سبحانه وتعالى ماذا أكتب؟ أي شيء أكتب؟ قال ((اكتب ما هو كائن إلى يوم

القيامة)) فأجرى الله عز وجل القلم بكتابة ما هو كائن إلى يوم القيامة ، كل التفاصيل التي تكون إلى يوم القيامة كُتِبَتْ بالقلم في اللوح المحفوظ ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴾ [القمر: ٥٢-٥٣] كل ذلك

مكتوب ؛ فهذا يدل على كمال علم الله ، وسيأتي عند المصنف بابٌ عظيم في إثبات القدر بمراتبه : العلم المحيط الشامل ، والكتابة لكل ما هو كائن إلى يوم القيامة ، والمشية النافذة مشيئة الله سبحانه وتعالى النافذة ، وأن كل

ما يكون ويوجد هو خلق له ﴿ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الزمر: ٦٢] ، ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦] ، ﴿

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢] ، سيأتي عند المصنف رحمه الله باب خاص في هذا . قال ((وكتب في اللوح المحفوظ ذكر كل شيء)).

الحديث لا يزال متصلا من النبي عليه الصلاة والسلام لكن عمران يقول : ((فأتاني آتٍ -يعني جاءني رجل- وقال: يا عمران انحلَّت ناقتك من عقالها)) والعقال: ما يوضع في يد الناقة وهو المكوّر المدور يوضع في يد الناقة إذا بركت بحيث لا تستطيع أن تقوم ، كلما أرادت أن تقوم منعها العقال ، ولا تزال الناقة تحاول أن تقوم وفي يدها العقال فتجد العقال ينحل من يدها شيئا فشيئا إلى أن يسقط العقال فتقوم ، فهي تتكرر منها المحاولة ، ولهذا صاحب الإبل يحتاج أن يتعاهدها دائما ، إذا وضع فيها العُقل يحتاج أن يتعاهدها دائما يمر فما انحل منها عقاله يعيده ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: ((تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ هُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقْلِهَا)).

قال: ((فأتاني آتٍ قال يا عمران احلت ناقتك من عقالها فخرجت في إثرها)) يعني خرج يطلب ناقته قال : ((فلا أدري ما كان بعدي)) وهذا اعتذار من عمران عن سبب ذكره بقية الحديث لهذا العذر الذي حصل له وهو ان ناقته انحلّت من عقالها وزهبت وزهبت في إثرها يُرجعها ويعيدها فيقول لا أدري يقول ذلك معتذرا رضي الله عنه وأرضاه . وهذا أيضا من كمال أدب الصحابة رضي الله عنهم وحرصهم ونصحهم في بيان كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، ولما كان للكلام بقية فاتته لهذا السبب اعتذر بهذا الأمر العارض الذي حصل له . هذا الحديث والأحاديث التي قبلها وكذلك الأحاديث الآتية كلها في بيان عظمة الله جل وعلا ، وأنه سبحانه وتعالى الرب العظيم والخالق الجليل والملك المتصرف المدبر لهذا الكون ، وأنه تبارك وتعالى المستحق للعبادة وحده تبارك وتعالى دون سواه ، وأن من صرف شيئا من العبادة والذل والخضوع لغيره ما قدر ربه تبارك وتعالى حق قدره وما عظمه سبحانه وتعالى حق تعظيمه .

والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .